المصطلح الإشهاري في الجزائر واقعه وآفاقه
- رؤية واصفة فاحصة -

عمار ساسي
جـــامعة البليـــدة

المقدمـــة:

حين تود تعميم عرض ما على أوسع مساحة في الأرض للإنسان بوسيلة معلمة ومرغبة لغاية تجارية... فذاك هو المسمى اليوم بالفعل الإشهاري le fait publicitaire والفعل الإشهاري هذا هو في حقيقة أمره خطاب لغوي مميز متضمن رسالة مميزة من مرسل إلى مرسل إليه. وهو خطاب لغوي له منطق داخلي ومراجع تأثير ومفاهيم ومصطلحات خاصة به ميدان خصب جديد مؤخرا بدأت الدراسات اللغوية واللسانية والأدبية في الوطن العربي تتشغل به وتهتم يقول الدكتور شكري سلام (.. منذ فترة وجيزة جدا ظهر كخطاب له خصوصياته السيميائية والتداولية التي تزوداه بالطاقة على التواصل الفعال مع المتلقي بغية تمرير خطابه وتحقيق منفعته باستعمال كل الوسائط المعرفية المتاحة له. ولذلك فهو خطاب ذو سيادة يرتبط بالسلطة والمال وبوظيفتهما من أجل استمالة الملتقى وإقناعه بالخدمة المعلن عنها، وبهذا فهو عند رجال المال والأعمال، البوابة الذهبية لمراكمة المزيد من الرأسمال ومضاعفة الأرباح مع هجرة الهاجس الاجتماعي المرتبط بالعدالة والمساواة (1).

ولغة الخطاب الإشهاري تبدأ أساسا بالمفردة داخل التركيب، وأدنى حدود التركيب هو مسند ومسند إليه . ثم يتوسع ليشمل الصور والأشكال اللغوية الأخرى المتعددة والمتنوعة والمتعارف عليها حسب قيم وثقافة الشعوب والأمم والمجتمعات، وهي مفتوحة للجديد المرغوب.ويعد الإشهار- برأينا- أحد وظائف اللغة.فإلى جانب الوظيفة الإبلاغية والتواصلية والجمالية والإبداعية...الخ نجد الوظيفية الإشهارية. والإشهار أشكال وأنواع إذ هناك الإشهار الديني والإشهار السياسي والإشهار الاقتصادي(التجاري) والإشهار العلمي(الثقافي)... الخ فالأول كأن يخص عالما أو باحثا كبيرا، تود التشهير به لغاية حضور الناس لمحاضراته. وتخص به طبقة معينة في المجتمع ذات الاهتمام، وهناك يبرز له مصطلح خاص به كمصطلح المحاضر العالمي. أما الثاني فكأن يخص زعيما سياسيا ينوي القيام بجولة عبر كل ولايات الوطن لعرض نظريته السياسية في

الأحداث الجديدة محليا أو دوليا، فتهيئ له وتخص به لغة مميزة ، القصد منها أن يحضر له كل الناس ويعجبون ويؤيدون أفكاره ويتبنونها. واللغة هنا كما تكون بمصطلحات وتراكيب تكون برسومات ورموز.

أما الثالث ونريد به الاقتصادي (التجاري) وهذا هو المهيمن على السوق والثقافة والذهنية اليوم، إذ كلما ذكرنا مصطلح الإشهار إلا وتوجه الفكر بسرعة إلى التجارة والاقتصاد.

أمـــا الرابـــع: ونريد به العلمي والثقافي، وذلك كأن يتم اكتشاف نظرية علمية جديدة، أو كأن يتم إنجاز بحث أكاديمي جديد ومهم في حقل معرفي متخصص. ويراد إيصاله إلى كل المهتمين على مساحة واسعة فيصنع له إشهار علمي قصد تحضير المتلقي وتنقل الملقي، ويحصل ذلك بلغة خاصة وبمصطلحات مميزة.وستعرض في هذا السياق نموذجا بيانيا لجملة الأنواع سابقة الذكر من الإشهار وتجتمع الأنواع كلها على تعريف الجمهور أو المتلقي بموضوع ما سلعة مثلا أو غيرها، في شكل مادي ملموس وفعل خدماتي أفضل، وذلك بإبراز محاسنها ومزاياها وفضائلها، ودفع الناس إلى فعل الشراء بتوظيفه للعوامل النفسية والاجتماعية لديهم بأساليب عديدة ومتنوعة تأخذ في أحيان كثيرة شكل النصيحة، وتظهر كالحريص على مصلحة المستهلك (المرسل إليه) ليستفيد أكثر ويدفع أقلّ (2).

هل الإعـــلام هو إشهـــار ؟؟.

الإشهار تعميم المعلومات في أوسع نطاق بوسيلة معلمة ومرغية (مغرية)، لغاية اقتصادية. والإعلام إطلاع الناس على المعلومة قصد الإبلاغ والتواصل. وليس شرطا في الإعلام التعميم الواسع للمخبر، إذ قد يكتفي في الإعلام بفئة دون أخرى، ولا يحصل هذا في الإشهار، لذا فكل إشهار إعلام وليس كل إعلام إشهار.

في خصائص ولغـــة الإشهار:

فإذا كان الخطاب الإشهاري في العصر يمثل ظاهرة لغوية ثقافية تواصلية تداولية تتفاعل فيه أنظمة العلامات اللسانية وغير اللسانية وتتداخل فيه الخطابات وتتفاضل الإيديولوجيات وتتدافع سلطة الأشكال الرمزية (3)، فإن لغته حتما ستتميز بخصائص فريدة مجتمعة لا نظير لها في أنواع الخطابات اللغوية واللسانية الأخرى.ويمكن ضبطها في الآتي:

- التركيب الجديد الخاطف للأنظار .
-المصطلح الجديد المثير للوجدان .
-الجرس النظمي الموسيقي الجذّاب.
- المصطلح المستخرج من عمق الحياة الاجتماعية الذي تستوعبه الشريحة الواسعة.
- لا يهم أن يخالف المصطلح لفظا ومعنى المتعارف عليه في الفصحى.
- الحركية والتجدد حسب الحاجة وإثراء المقصد.
- مخاطبة العاطفة أكثر من العقل، لغاية إثارة الرغبة في المتلقي.
- يتوجه المصطلح الإشهاري إلى شريحة النساء والشباب أولا، ثم الرجال ثانيا لسرعة الاستجابة للعرض الذي يحرك التجارة ويدرّ المال.
- التنافسية والتمايزية والتفوقية هي روح الفعل الإشهاري مصطلحا وتركيبا.
- خرق جدار اللغة مصطلحا وتركيبا.
- ظهور الثنائية اللغوية مصطلحا وتركيبا .
- سرعة الظهور وسرعة الدثور (عدم الاستقرار).
- قصر العمر ومعاودة الظهور بالثوب الجديد .
- لا إشهار بالفصحى.
- اللغة الإشهارية لا معيار لها .
- المصطلح الإشهاري لا ميزان له .
- بيئة العامة هي التي تصنع المصطلح والتركيب الإشهاريين.

المصطلح الإشهـــاري بالصـــورة واللون:

لايعبّر المصطلح الإشهاري عن معناه وحده، إنما تدخل معه أدوات أخرى تضيء المعنى إلى السامع(القارئ) إضاءة بشيء من الإقناع والإمتاع والإشباع. وأريد بها الصورة الدالة والموحية إلى معاني كلية مشتركة في الاستحسان بين الناس ومنها: القوة والحيوية والعراقة والأناقة والجمال والغلبة والتميز والتفوق...

وللصورة من الأثر والبيان في مجتمع الصورة ماليتس للكلمة إذ لا يكاد يخلو مصطلح إشهاري من صورة ذات معنى ودلالة تضيء له طريق الإقناع والإمتاع مثلا جملة(مصر للطيران).ذات اللون الأزرق وصورة لوجه الطائر، وهي خطاب إشهاري ذو دلالات سيميائية دقيقة، فصورة الطائر تمثل الوظيفة

الفاعلة الآمنة وهي فعل الطيران في الشركة المصرية لونه مميزا ودلالة اللون الأزرق تمثل صفاء السماء وجمال الكون ومتعة النظر والسفر فيه. واللون الأبيض فيه دلالة الاطمئنان والسكينة والنجاح وعليه اللون،في صفحة المصطلح الإشهاري هو لغة مضيئة تعمل على تعميق معاني الإقناع والإمتاع والإشباع والإتباع في المصطلح وإذ كان من خصائص اللون في الكون التميز والجمالية للإمتاع والإشباع، والإقناع بجلال الإبداع والخلق الدال على عظمة الخالق لقوله تعالى:(**ومن آياته خلق السمـــوات والأرض واختـــلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لأية للعالميـــن**).(4)

فإن الإشهارية وظفت هذا العنصر بتمامه ليضيء إقناعا وإمتاعا معنى المصطلح الإشهاري، فلا غرابة إذا أن يقدم المصطلح الإشهاري في طبق ملون ومصور جامد تارة ومتحرك تارة أخرى، ليؤدي الغرض المطلوب بتمامه.

هذه جملة أفكار ملاحظة في لغة عالم الإشهار المحلي وغيره المستخرجة من إشهارات وسائل الإعلام السمعيّـــة و المرئية والمقروءة و المعروضة و ملخص بيانها ما يلي:

أنّها لغة مميّـــزة مثيرة جاذبة غنّـــاءة ساحرة لأوسع شريحة في المجتمع، خارقة لجدار الفصحى مصطلحا وتركيبا بلباس الثنائية مرة وببذلة الازدواجية أخرى. و قد يعمق الخرق إلى لباس أغرب وغير مألوف هو تداخل العامية المحلية مع الفصحى الأعجميّة، متحركـــة و متجددة لا تعرف استقرارا باحثة دائماً على النغمة الجاذبة للربح، المؤثرة إيجابا في عواطف النساء وعقول الشباب ورغبات الأولاد مصالح الرجال، المرتقية للتنافسية والطامعة إلى التفوقية قصد بسط سيطرتها على السوق.لاستدراج المستهلك واستدرار ماله.

المصطلح في لغة الإشهار:

ولمّا كان موضوع الورقـــة يخصّ المصطلح الإشـــهاري، فبنا إلى هذه النقطـــة. المصطلح هو المفردة الموضوعة لمعنى والمقصودة للتواصل. وقد وقف الإمام عبد القاهر الجرجاني في باب: أسباب وضع الأسماء على المسميات في أول مؤلفه (دلائل الإعجاز) فيما معناه: إنما توضع الأسماء على المسميات لا لتعرف معانيها فحسب ولا ليميز بينها وبين غيرها ولكن ليضم بعضها إلى بعض(5) ، فيفيد المتكلم السامع بها خبرا جديدا .

ولما كانت الأمور بمقاصدها وكانت الأعمال بالنيات ، فإن الغرض الإشهاري سيوجه المصطلح وجهة خاصة مميزة تبعا لمقصد فعل الإشهار، ويحكم ظهور خاصية التعميم على أوسع نطاق لتشمل كل شرائح المجتمع من غير استثناء، وهيمنتها على توجيه لغة الإشهار عموما والمصطلح الإشهاري خصوصا، فإن هذه الخاصية لاشك أنها ستضحي بكثير من الخصائص الضابطة للسلامة النحوية والفصاحة اللغوية في المصطلح الإشهاري ، وسنجد أنفسنا فيما بعد أمام مصطلح يوشك أن يكون غريبا ، بعيدا عن السلامة النحوية الصرفية من جهة وبعيدا عن الفصاحة اللغوية من جهة أخرى.

ليست غايته البنية اللغوية للمصطلح، إنما هي غاية أساسها ذيوع المصطلح في أوسع نطاق فيصبح أثره الإيجابي في أكبر شريحة، فتقبل عليه ولا تقبل على غيره.

وكم يسعد الفكر اللغوي الإشهاري أن يرى حياة مصطلحه تطول وتمتد وكم يفرح حين يرى أثره ثابتا وأثر غيره ذاهبا. وأحسب أن هذا هو منطق لغة الإشهار، أي أن التأثير العقلي والنفسي هو أساس التأثير المادي الذي نواته أن يصير المتأثر زبونا مخلصا دائما للمحتوى المشهر به.

نموذج في تحليل المصطلح الإشهاري:

لغة الخطاب من لغة المجتمع .

-لإزدواجية اللغوية في عمق المجتمع .

ولنا من الجمل الإشهارية جملة (عيش la vie) وأول مايستنتج من لغة الخطاب مايلي:

- لغة الخطاب الإشهاري هي من عمق لغة المجتمع (لغة اجتماعية).
- لازدواجية اللغوية سمة بارزة في الخطاب .

وإذا حاولنا استنطاق دلالات المصطلحين نجدها كثيرة. ويمكن ضبطها في هذا السم البياني الأول

نمـــوذج في تحليـــل المصطلـح الإشهـــاري

المصطلح في خطاب:(عيش la vie)

1 - الرسم البياني الأول: ويتضمن تحليل مصطلح (عيش):

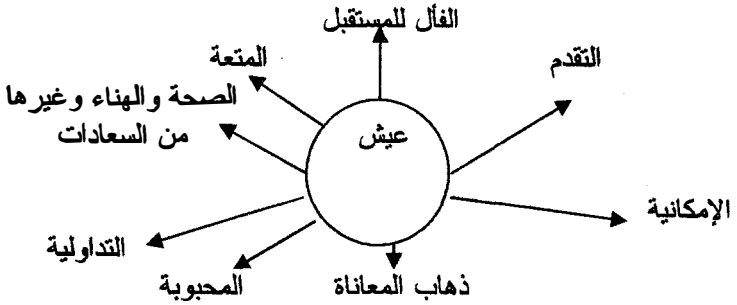

2 – الرسم البيـــاني الثاني: ويتضمن تحليل مصطلح (la vie)

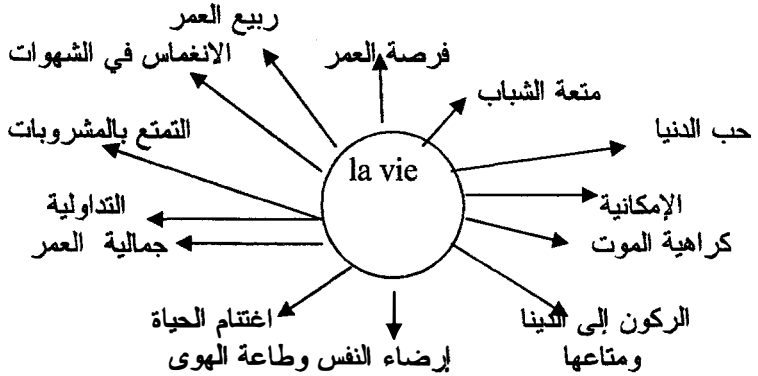

ومع ذلك يبقى المصطلح في الرسمين **الأول والثاني** مفتوحا على دلالات أخرى نستخرجها من ذات الإنسان ومقصده النفعي.هذا وإن بدا المصطلح مستعملا في حقل الاتصال إلا أن دلالاته هي غير موقوفة على حد الاتصال، لذا فهي تفرض انفتاحها على ما يتحقق من فعل الاتصال من صلات ومتعات ومصالح وثمارات.

وقد تتجلى الدلالات للمتأمل أكثر حين تقابل ذات المصطلح(la vie) بمصطلح (حياة) فيقول: (عيش الحياة). وهنا وإن كانت ترجمة المصطلح(la vie) بـــ (الحياة) قطعية بإجماع، إلاّ أن الدلالات المتفجرة عنهما على تميّز، ذلك أن دلالات مصطلح (la vie) مفتوحة بينما دلالات مصطلح (الحياة) محدودة (مغلقة).

ويعود ذلك – برأينا إلى أن الذي يحدد طبيعة هذا الانفتاح وهذا الانغلاق هو المجتمع ومميزاته وخصائصه إذن فالمصطلح (الإشهاري) هو مفرزة مجتمع ومصنعته، بحيث كان المجتمع ولم يكن المصطلح، ومن هنا فالمصطلح هو دوما نتاج متميز لروح أمّة بعينها.

وكما أن اللغة وضع واستعمال فكذلك المصطلح وضع واستعمال وكذلك الفرد في نظام المجتمع وضع واستعمال. ولذلك لما كان المجتمع الغربي (مفتوحا) على معاني (الحياة) أكثر إلى حد تجاوز خطوطها الحمراء تبعه المصطلـــح في ذلك انفتاحـــا على كل هذه المعـــاني. أما مصطلح(الحياة) في المجتمع العربي فتتجه دلالاته إلى العمر والصحة والسلامة، والعمل المقدم في الحياة فيها ، والاعتبار ،والإعداد والاستعداد للأخرة لقصر الدنيا ولا يقابل المصطلح من المعـــاني سوى معنى الموت ،بينما مصطلـــح (la vie) يقابله معنى للبؤس (Misère) لماذا ؟ .

لأن الموت في المجتمع العربي قريب وحاضر بقوة عادة ، القرآن وطبيعة أخلاق المجتمع المتبعة له التي تفرض على المصطلحات اتجاه دلالاتها، إذ أن مفهوم الحياة من ملة إلى أخرى يختلف. ولك أن تنظر إلى مفهوم (الحياة) قبل نزول القرآن حيث يقررها بقوله على لسان الكافرين الدنيويين:(إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحي وما نحن بمبعوثين) (6). والنصوص في هذا المعنى كثيرة ... .

فلما انعدم عندهم الإيمان بالأخرة صارت الدنيا هي كل شيء أي هي غاية. واتجه مفهوم الدنيا إلى أوسع، ولم يعد في مفهومها مايسمى بالحدود والقيود والسدود والخطوط الحمراء ... الخ. فكلّ شيء مباح ومتاح. ولما نزل القرآن قيّد من هذا المفهوم المطلق ونقاه من كل ما يفضي إلى فساد أو ضرر أو

هلاك وسفله صقلا وضبطه ضبطا وحوّله من دائرة الغاية إلى دائرة الوسيلة، فصارت الحياة في مفهوم القرآن وسيلة إلى غاية لماذا ؟.
لأنه ألزم الإيمان باليوم الأخر وجعله ركنا أساسا من أركان الدين، فصارت الأخرة دار جزاء والدنيا دار عمل . ومن هذا تحدد المفهوم وتقيد وتميز.

مصطلح (عيش) في المجتمع العربي هي مفتوحة على دلالات كثيرة، فارض وجودها المجتمع وطبيعة ثقافته وتقاليده وذهنيته.

فهي مفتوحـــــة على:

- التمتع بملذات الحياة وشهواتها.
- الرفاهية في الحياة .
- اغتنام فترة الشباب بالتمتع .
- استثمار كل الوسائل التقنية المرفهة في الحياة الدنيا .
- استعمال وسائل السعادة في الحياة.
- الصحة والقوة في العمر.
- إتقاء كل أسباب الشقاء والبؤس والفقر والمعاناة في الحياة .
- العمر في كامل السّعادة .
- فرصة التقدم والتطور.
- الخلو من كل أنواع المشاكل و المعيقات.... الخ.

ويقابل هذا المفهوم (عيش) مفهوم (البؤس) والشقاء و(المعاناة) والتخلف و صعوبة المعيشة والحرمان..... وتراكم المشاكل و المعيقات.

وقد نجد شيئا من التناعم الدلاليّ بين المصطلحين مبدؤه هذا الانفتاح والتوافق في استيعاب كل هذه المعاني المرغوبة عند النفس الإنسانيـــّة ، بل إنها لتقاتل من أجل الحصول عليها.هذا التناعم صنعه الانتقاء البصير والذكي للمصطلح من بيئة المجتمع في ثقافته وتقاليـــده ، وخصوصيته وطبيـــعة حضارتـــه ، غيـــر مبّال في ذلك بنظام لغتـــه و قواعدها الاصطلاحية التركيبية، ذلك أن المهم في توظيف المصطلح والتركيب في الفعل الإشهاريّ هو هذه المعاني والدلالات التي يحملها ويسحر بها أعين هذه الشريحة الواسعة في المجتمع ، فتقبل خانعة غير مدبرة ، ولا يهم في أيّ وعـــاء لغويّ جاءت، فطلب المعاني و الدلالات هو الذي يقود إلى البحث عن المصطلح لتوظيفه غير مبال من أي جنسية هو ، أعربية أم أعجمية ؟.

وهنا في جملة :(عيش la vie) حصل الخرق لجدار اللغة في مستويين:

1- مستوى بنيه المصطلح ووزنه ، فا(عيش) لا وجود لها بهذه الصيغة (الأمر) في اللسان العربي إذ هي صيغة (عامية) شبيهة بالعربية، و(الياء) الواقعة بين(العين) و(الشين) لها دلالة التأكيد والإلحاح على الفعل في منطق العامية ، وهي أشبه بقولك للضيف ،تريد تأكيد إكرامه : (كول) بدل (كل) .

2- في مستوى نظام اللغة و بنيتها التركيبية ، وذلك بتوظيف المصطلح الأجنبيّ بشكله .

وصورته في التركيب اللغوي العربي ، فتقول : (عيش la vie) وهنا نلحظ ظاهرة لغوية جديدة و جديرة بالاهتمام ، هي تداخل العامية مع الأجنبية والسؤال: هل يصح وضعها هنا في موضع الازدواجية (Bilinguisme) أم الثنائية (Diglossie)؟. أم نضطر أن نبحث لها على اسم مميّز؟ علما أن الازدواجية اللغوية هي تداخل لغتين فصحى وأجنبية ، وأن الثنائية اللغوية هي تداخل العامية مع الفصحى في أيّ لغة. بينما هذه الظاهرة هي تداخل العامية مع الأجنبية .ويمكن للبيان وضع هذا الرسم السهمي.

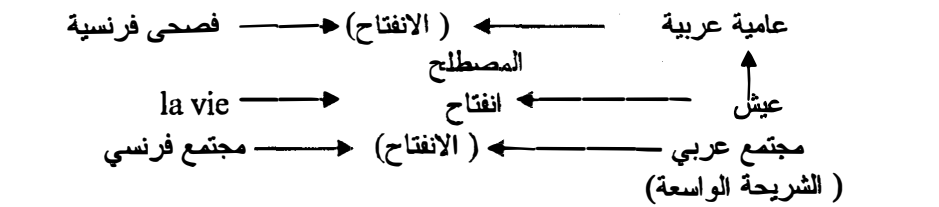

توافق المصطلحين في دلالة الانفتاح

وقد تذهب هذه الدلالات وتضيق هذه المعاني ويخفي هذا الانفتاح لو استبدلت مصطلحا بآخر كأن تقول: (أحي la vie) أو (عيش الحياة)... وللبحث صلة .

وفي الخاتمة: نفيد أن الإشهار عالم لغوي مميز وأن المصطلحية الإشهارية فضاء فريد من نوعه لا تخضع لرقابة اللغة ولا تضبطها قواعدها، إنما تملك

حرية التصرف والتحرك إلى اتجاه المنفعة العامة والمصلحة الخاصة .وتتحدّد الغاية من المصطلح في اتساع انتشاره ونفاذ أثره.

هوامش

1- ثورة الاتصال والإعلام من الإيديولوجية إلى الميديولوجية مجلة عالم الفكر العدد 1 المجلد 32 سنة 2003 - ص90 .
2- أحمد بن مرسلي. أشكال الاتصال، حوليات جامعة الجزائر ج1.المجلد11. سنة 1998، ص 84 -85.
3- سيميـــائية التواصل وفاعلية الحـــوار ، المفاهيم والإجراءات. منشوررات مخبر السيميائيات وتحليل الخطاب جامعة وهران. ط-1. سنة 2004 - ص 11.
4- الروم:22.
5- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار قتيبة، ص ..... .
6- المؤمنون 37.